

مشكلة مغربية متسببة

# المغرب قايض الساحل بالصحراء

اسبانيا تربط احتلال سبتة ومليلية والجزر الجعفرية بمشكلة جبل طارق !  
الامير عبد الكريم الخطابي والشيخ ماء العينين وابنه من اوائل التوار العرب  
تحالف الاستعمار الاسباني مع الاستعمار الفرنسي لاجل جيش التحرير المغربي العام ١٩٥٧



خريطة ساحل المغرب على المتوسط تنبؤ فيها الجزر والحد التي مازالت تحت الاستعمار

مشكلة الصحراء الغربية ، التي تدور الحرب بشأنها حالياً بين تحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب المعروفة بجهة البوليزاريو وبين القوات المغربية والموريتانية بعد اقتسام الصحراء بين هاتين الدولتين بالاتفاق مع الحكومة الاسبانية ، طغت على مشكلة احتلال اخرى في المغرب هي مشكلة الاحتلال الاسباني لمدينتي سبتة ومليلية والجزر الجعفرية على ساحل البحر الابيض المتوسط . وتتهم الحركة الوطنية المغربية النظام المغربي بأنه تخلى عن هذه المناطق ضمن مساومة مع اسبانيا التي ربطت قضية هذه المناطق بقضية استرجاع جبل طارق من الادارة البريطانية . وقد سلطت بشرة الاختيار الثوري « التي تصدر في باريس ناطقة بلسان الحركة الوطنية الثورية في المغرب الاضواء على هذه المشكلة المزمنة في لحظة تاريخية نوردها في ما يلي لكونها تشكل جزءاً اساسياً من حركة الصراع الداخلي والخارجي في المغرب العربي

بالغة .  
بعد هذا كله اصبح الاستعمار متفائلا حول مستقبل مستعمراته . مع انه ارتفعت اصوات من داخل اسبانيا على امتداد القرن التاسع عشر لتنادي بالتخلي عنها وارجاعها للمغرب .

## المقاومة الشعبية للاحتلال

تلك انه بالرغم من الازدهار النسبي الذي عرفته المدينتان ، فقد كانتا تعيشان في عزلة خائفة . مطوقة من طرف القبائل الريفية الثائرة ضد الوجود الاستعماري وضد سياسة المخزن المهادنة للاستعمار . فعرفت نهاية القرن التاسع عشر اشتباكات دامية بين القبائل والقوات الاستعمارية . ففي سنة ١٨٩٢ كبست قبائل فرجانة خسائر فادحة للاستعمار في مليلية . قبل ان يستغيث هذا الاخير بـ ٢٠٠٠٠ جندي من اجل رفع الحصار عن المدينة . ويعددها اجبر الاسبان المخزن على نصب حزام امن حول المدينة لمنع القبائل المجاورة من مهاجمتها من جديد .

والجدير بالذكر ان الاستعمار الاسباني حاول منذ نهاية القرن الخامس عشر التمرركز على الشاطي الصحراوي في جنوب البلاد . لكن سرعان ما اضطر الى مغادرته تحت ضغط القبائل الثائرة ضده في بداية القرن السادس عشر .

ولم تتمكن اسبانيا من العودة الى هذه المواقع الا بعد الحرب المغربية الاسبانية سنة ١٨٥٩ التي انتهت بانتهازم السلطان عبد الرحمن ونزوله عند رغبة الاسبان في وضع جزء من الشاطي الصحراوي تحت تصرفها من اجل استغلال الثروات البحرية .

ولم تكن اسبانيا انذاك تسيطر الا على مدينة الداخلة . اما المواقع الاخرى . وخاصة ايفني .

الحسن الثاني : ملقضة وتقسيم .



التفكك الدائم لجهاز الدولة الذي جعل الاقطاعية الحاكمة تسعى بالاساس الى استمرار بقائها عبر مهادنة الاحتلال وتحمل كل انواع الاهدانات من اجل التفرغ الى قمع التحركات الجماهيرية التي كانت تهددها من الداخل .

اما القوات الشعبية فكانت باستمرار تواجه العدوان الخارجي وتأخذ تلقائيا مبادرة التصدي للوجود الاستعماري المزمك من طرف المخزن .

وهكذا قامت اسبانيا سنة ١٥٠٨ باحتلال جزيرة بانيس الواقعة غرب مدينة الحسيمة . لكن سرعان ما تعرضت الى هجمات القراصنة الذين احتلوها سنة ١٥٢٢ وجعلوا منها مركزا وقاعدة للهجوم على شواطئ الاندلس . وفي سنة ١٥٦٤ قام الاسبان بتسليم مئة باخرة مدعمة بـ ١٢٠٠٠ جندي من اجل استرجاع الجزيرة التي لا تفوق مساحتها اربعة هكتارات ، ووافق السلطان عبد الله على هذا الاحتلال من اجل كسب اسبانيا الى جانبه ضد الاتراك . ومنذ ذلك التاريخ بقيت جزيرة بانيس تحت سيطرة الاستعمار الاسباني .

كما ان الاسبان قاموا سنة ١٦٧٢ باحتلال جزر الحسيمة الواقعة امام مدينة اجدير . ووافق السلطان السعدي الغريب بالله على هذا الاحتلال .

اما الجزر الجعفرية فقد تم احتلالها سنة ١٨٤٨ بحكم موقعها امام منفذ نهر ملوية الاستراتيجية في حماية مدينة مليلية .

وفي سنة ١٨٦٢ قررت السلطات الاستعمارية ان تجعل مدينتي سبتة ومليلية والجزر الجعفرية مواني حرة . وسرعان ما عرفت المدينتان نشاطا تجاريا ملحوظا هدد المنتوجات المغربية . ووضع في ما بعد (١٩٠٦) حدا لاستعمال هذه المواقع كمركز للاعتقال . حيث كان يكلف تلك مصاريف

فرنكو : هزم الجمهورية من هناك



كانت لاحتلال الأجزاء الشمالية من ترابنا الوطني ، من طرف الاستعمار ، دوافع استراتيجية ، من حيث أهمية البحر الابيض المتوسط ، والدور الذي كان يلعبه الشاطي المغربي انذاك . فمن جهة ، حرصت اسبانيا باحتلالها هذه المواقع على اجهاض اية محاولة مغربية للتسرب من جديد الى الاندلس ، ومن جهة اخرى كان الغرض من تلك استعمال هذه المواقع كقاعدة انطلاق نحو التغلغل داخل المغرب وباقي القارة الافريقية . وتشمل هذه الاجزاء مدينتي سبتة ومليلية والجزر الجعفرية ، وجزيرة بانيس وجزر الحسيمة .

## التغلغل الاسباني البرتغالي

لقد اثار الموقع الاستراتيجي لمدينتي سبتة ومليلية انتباه البرتغاليين والاسبان في اوائل القرن الخامس عشر . وقت كانت السيطرة على الشواطئ تكتسي أهمية كبرى بالنسبة الى التجارة البحرية . لذلك اقدم البرتغال على احتلال سبتة سنة ١٤١٥ وفي ما بعد امتد احتلاله الى القصر الصغير واصيلا ثم طنجة . بينما دخل الاسبان مدينة مليلية سنة ١٤٩٧ . وفي بداية القرن السادس عشر توسعت مستعمرات البرتغال واصبحت اكادير واسفي وازمور والجديدة خاضعة لهم . في الوقت الذي سقطت المرسى الكبير ووهران وبيجاية والجزائر وطرابلس تحت سيطرة الاسبان .

وهكذا ظلت شواطئ المغرب تحت سلطة التحالف الاستعماري الذي احكم قبضته على التجارة البحرية في المنطقة كلها . وتمكن من اضعاف المجتمع المغربي بتغذية الصراعات القبلية داخله . الشيء الذي مكن من ارساء سيطرته على الشواطئ بنون متنازع .

وبقيت الاوضاع على هذه الحال الى ان تمكن السلطان السعدي محمد المهدي سنة ١٥٧٤ بتحالف مع الاستعمار الانجليزي من طرد البرتغاليين من اغلب موانئ الشاطي الاطلفي . باستثناء طنجة والجديدة وسبتة .

وبعد معركة القصر الكبير تم نزع البرتغال بالعرش الاسباني سنة ١٥٨٠ ، وحل هذا الاخير محل البرتغال واصبحت هذه المواقع خاضعة لاسبانيا . حيث عملت بالتنسيق مع المواقع الاسبانية الاخرى على الشاطي المغربي لحماية بواخرها التجارية . وفي سنة ١٦٤٠ عند انشقاق البرتغال عن اسبانيا ، احتفظت هذه الاخيرة بمينية سبتة .

لكن لم تتمتع سبتة ولا مليلية بالاستقرار ، حيث تمت محاصرتها مرات عديدة من طرف قبائل الريف وجيوش المخزن .

واذا كان المخزن عاجزا على طرد المستعمر من هذه المواقع ، فنلك يرجع الى اسباب عديدة منها

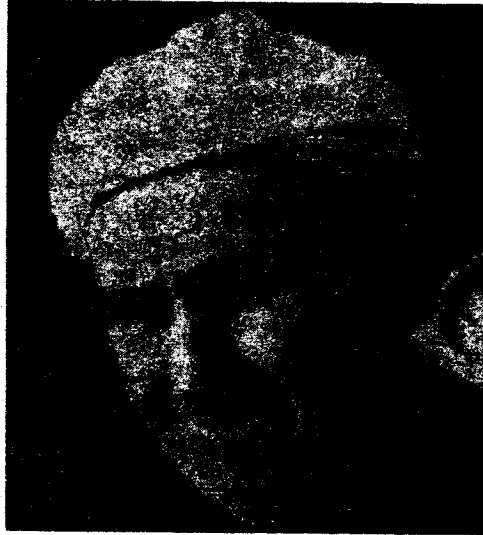


البوليزاريو : القضية الثانية .

ضد المستعمر . وسرعان ما اجبره على التخلي عن كل مراكزه والالتجاء الى الشاطي فكانت تحت سيطرة جيوش عبد الكريم .

ولما اراد الجنرال سيلفيستر في تموز ١٩٢١ ان يكسر الطوق ، محاولا بذلك شق طريق نحو جزيرة الحسيمة عبر جبال الريف ، اعترضته قوات عبد الكريم في انوال وكبنته خسائر فاحشة في الارواح والعتاد . فعلاوة على اسرما يزيد عن ٧٠٠ جندي تحتم على اسبانيا دفع غرامة مرتفعة المبلغ لاطلاق سراحهم .

والجدير بالذكر ان قوات محمد بن عبد الكريم الخطابي كانت ان تستولي على مدينة مليلية لولا تدخل قوات اسبانية اضافية جاءت من سبتة . كما انه في اذار ١٩٢٢ تمكنت القبائل الريفية من السيطرة لمدة شهر على جزيرة بانيس . ولا داعي هنا للدخول في التفاصيل بخصوص ثورة الريف ، وتكفي الاشارة الى ان الاستعمار الاسباني ، بعد انتكاسته في انوال . دعر واستغاث بالقوات الفرنسية . ولم يتمكن التحالف الاستعماري من القضاء على الثورة الريفية الا بعد سنوات انزل خلالها كل ما لديه من قوات بشرية واليات هربية . غير ان احد العوامل التي ساهمت في القضاء على الثورة الريفية ، الى جانب العوامل الاساسية الاخرى (العسكرية منها والظرفية الدولية) هي عدم تمكنها - رغم التنسيق الذي جرى مع بعض القبائل في الاطلس المتوسط - من الارتقاء الى مستوى ثورة وطنية شاملة تستهدف تحرير مجموع البلاد من سيطرة التحالف الاستعماري - الايطالي . ومن هذه الزاوية



الامير محمد عبد الكريم الخطابي : اول ثورة عربية .

معادن منطقة مليلية . ولنفس الهدف ، ومن اجل اخذ حظه في اقتسام البلاد التي اصبحت فريسة الامبريالية . سارع الاستعمار الاسباني الى احتلال القصر الكبير والعرائش . وتمكن بذلك من نزع الاعتراف الفرنسي في حقه على شمال المغرب بعد توقيع الحماية سنة ١٩١٢ .

### ثورة عبد الكريم

لكن المقاومة الريفية لم تخمد . فلقد تمكن محمد بن عبد الكريم الخطابي من توحيد القبائل

فلم يتمكن الاستعمار من اخضاعها الا بعد ما ذاق الامر من طريق القبائل الصحراوية الشائرة تحت قيادة الشيخ ماء العينين ثم ابنه الهية اللذين وحدا القبائل عبر نضال متجه نحو تحرير مجموع البلاد من الاستعمارين الاسباني والفرنسي . فلم يتمكن الاستعمار الاسباني من اخضاع طرفاية الا سنة ١٩١٦ . وبقي نفوذه منحصرا على الشاطي حيث لم يدخل مدينة السمارة الا سنة ١٩٣٦ .

وفي بداية القرن العشرين اصبح المخزن عاجزا عن مواجهة الازمة العامة التي خلفتها سياسته الاستسلامية امام الضغوط الاقتصادية الامبريالية . ففقد بذلك ما تبقى له من سلطة على جل المناطق . وفتح ابواب البلاد امام التغفل العسكري الاستعماري . بل ووجه جيوشه ضد الجماهير الراقضة لهذا الواقع . ونهضت الجماهير الشعبية وحدها لتقاوم التغفل الاستعماري الاسباني والفرنسي . وفي هذا الاطار ، وامام المطامع الاستعمارية الاسبانية حول معادن الحديد والرصاص الريفية . واجهت قبائل الكلاعة وكبدانة في صيف ١٩٠٩ جيوش العوطيلة شهر كامل استغاث خلاله بـ ٥٠٠٠٠ جندي . ومع ذلك كانت القبائل ان تستولي على جزيرة الحسيمة . ولم يتمكن العدوان يسيطر على الميدان الا بعد ما ترك نصف قواته في المعركة .

وعلى اثر هذه المواجهة اقدم الاستعمار الاسباني على توسيع نطاق احتلاله الى جبل الناخورد وسلوان ويني بويغورود . من ال حماية للفرقات الاسبانية التي شرعت في استغلال

كذلك يمكن فهم التدخل الفرنسي الى جانب الاستعمار الاسباني المتدهور سنة ١٩٢٢ لعزل الثورة الريفية وتطويقها قبل ان تتسرب الى باقي المناطق المغربية . ومنذ ذلك التاريخ (١٩٢٧) عرفت سببة ومليلية والجزر ازدهارا نسبيا . حيث تضاعف عند سكانها وتوسع نطاق موانئها . كما حققت الشركات الاستعمارية ارباحا طائلة عن طريق استغلال المناجم المجاورة .

لكن ما ان جاءت سنة ١٩٣٣ حتى تأثرت بالازمة الداخلية التي عرفتها اسبانيا آنذاك ، والتي كانت مؤشرا للحرب الاهلية . والكل يعلم الدور الاساسي الذي لعبه الجزء الشمالي المغربي المحتل من طرف الاستعمار الاسباني كقاعدة خلفية للحركة الفاشية في مناهضة الجمهورية بعد انتخابات تموز ١٩٣٦ حيث انطلق فرانكو من مدينة سببة على رأس قواته لمحاربة الجمهوريين . ولهذا الاسباب تضاعل عدد سكان المدينتين . كما ضعف نشاطهما الاقتصادي .

وبعد الاعلان عن استقلال المغرب سنة ١٩٥٦ انسحبت اسبانيا من شمال البلاد ، ولكنها

احتفظت بالمدينتين والجزر . كما انها احتفظت بالصحراء في جنوب البلاد .

## تواطؤ النظام

وفي نهاية سنة ١٩٥٧ شنت قوات جيش التحرير المغربي في الجنوب ، المدعمة بقبائل آيت باعمران المجاورة ، هجومات متتالية على القوات الاستعمارية في الصحراء المغربية واجبرتها على اللجوء الى المدن الساحلية . والكل يعلم ان تحالف الاستعمارين الفرنسي والاسباني وتواطؤ النظام الرجعي هو الذي ادى الى اجهاض هذا الكفاح التحرري . وسمح من جديد للاستعمار بالاستمرار في احتلال هذه الاجزاء الهامة من التراب الوطني المغربي في حين ان النظام الرجعي المغربي قد تولى حل جيش التحرير وتجريد الجماهير من اية امكانية لمقاومة النضال ضد المستعمر شمالا وجنوبا .

وفي شهر نيسان ١٩٥٨ تم استرجاع منطقة طرفاية الى المغرب على اثر ابرام اتفاقية « سنترا »

بين الحكم الاسباني والحكم المغربي . اما منطقة ايفني فلم يتم استرجاعها الا في كانون الثاني ١٩٦٩ حيث سحب ذلك اتفاق فتح المجال واسعا امام النظام الاسباني للصيد في المياه الاقليمية المغربية .

واليوم ، وبعد ٢١ سنة من الاستقلال الشكلي ، لا زالت الاجزاء الشمالية من التراب الوطني المغربي ترزح تحت سيطرة الاستعمار في حين ان الاجزاء الجنوبية قد اخضعت لمناطق المساومة والتقسيم . ويتبين يوما بعد يوم ان هذه الاجزاء المختصبة في امس الحاجة الى المغرب ، كما ان المغرب في امس الحاجة اليها . لكن كل الدلائل تشير الى ان النظام الرجعي المغربي قد تخلى بشكل نهائي عن هذه الاجزاء حيث ربط المطالبة بها باسترجاع اسبانيا لجبل طارق . كما ان تخصيص اموال باهظة لمشروع بناء ميناء الناظور - في حين ان ميناء مليلية لا يبعد الا ببضعة كيلومترات - يشير بكل وضوح الى اختيار النظام الرجعي المغربي طريق التخلي النهائي عن هذه الاجزاء . ■